مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني
(قصة إبراهيم عليه السلام أنموذجا)

د. محمد فهد عبيد الحربي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

ملخص البحث: هذا البحث يتناول الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني من خلال دعوة إبراهيم عليه السلام؛ لأن منهجه الدعْوي حافل بتلك الأساليب، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وهدف البحث إلى: بيان مفهوم الأساليب الدعوية. وذكر خصائص الأساليب الدعوية والجدلية في القرآن الكريم. وإبراز الأساليب الدعوية والجدلية من خلال قصة إبراهيم عليه السلام، وقد خرج الباحث بجملة من النتائج، أهمها: الأساليب الدعوية هي الطرق والكيفيات المؤثرة المقنعة التي يسلكها الداعية لتبليغ الإسلام والحث على تطبيقه، والعمل بأصوله وفروعه. والجدل هو مقابلة الحجة بالحجة، وكشف الشبه لدى من تجادله بالأدلة المقنعة والبراهين الواضحة. ويتطلب الجدل معرفة الداعية بقواعد الاستدلال، كما يتطلب الحجة والدليل. من الأساليب العقلية الجدلية في قصة إبراهيم عليه السلام: الجمع بين الدليل العقلي والسمعي، والمناظرات، والتنويع في عرض الحجج والاستدلال بالأدلة العقلية والواقعية المقنعة، والاستدلال بالفطرة، والاستدلال بالحس والمشاهدة، وأهم توصيات البحث: دراسة الأساليب الجدلية في قصص القرآن الكريم وبيان أسسها ومرتكزاتها، ودارسة الأساليب الجدلية من خلال السنة النبوية، وبيان آثارها الدعوية.

الكلمات المفتاحية: الأساليب الدعوية، الجدل، القصص القرآني، إبراهيم عليه السلام

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الدعوة وظيفة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهي ميراث النبوة، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨].

وقد تميزت الدعوة بمناهج وأساليب ووسائل ذكرت في مواضع شتى من آيات القرآن الكريم وبخاصة في ثنايا قصص الأنبياء عليهم السلام، ومن تلك القصص القرآني قصة إبراهيم عليه السلام التي ذكرت أساليبه عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى، فنجد أنها تضمنت ضروباً متنوعة من الأساليب، تراوحت بين اللين والشدة، والترغيب والترهيب، والحوار والمناظرة، والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، والتلميح والتصريح، والتوكيد والنفي، وغير ذلك من الأساليب مراعاة لأحوال المدعوين، ووفقاً لاستعدادات النفوس، التي كان يدعوها وظروف الدعوة ومواقفها المختلفة. وذلك يعني أن إبراهيم عليه السلام قد استوعب في دعوته أروع الأساليب الدعوية وأبلغها، وأعظمها وأنجعها.

وكان أساس تلك الأساليب وجماعها: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[النحل: ١٢٥].

ونظراً لما اشتملت عليه دعوة إبراهيم عليه السلام من أساليب، ومن الثراء في المواقف الدعوية، يأتي هذا البحث (الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني (قصة إبراهيم عليه السلام أنموذجاً)، وإنما عطفنا الأساليب الجدلية على الأساليب الدعوية عامة؛ لأنها كان سمة بارزة في دعوة إبراهيم عليه السلام، هذا من باب عطف الخاص على العام للاهتمام به، ومن كرم الله على إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى أعطاه الحجة والبيان، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[الأنعام: ٨٠].

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة هذا البحث في التساؤلات الآتية:

١. ما أنواع الأساليب الدعوية؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٢. ما الأساليب الدعوية بالدعوة إلى الله تعالى؟
٣. ما خصائص الأساليب الدعوية والجدلية في القرآن؟
٤. ما أبرز الأساليب الدعوية والجدلية التي وردت في قصة إبراهيم عليه السلام؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١. بيان مفهوم الأساليب الدعوية.
٢. بيان الأساليب الدعوية بالدعوة إلى الله تعالى.
٣. ذكر خصائص الأساليب الدعوية والجدلية في القرآن.
٤. إبراز الأساليب الدعوية والجدلية من خلال قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

أهمية البحث:

وتكمن أهمية البحث في الأمور الآتية:

١. تنوع أساليب الدعوة في القرآن في قصص الأنبياء الذين هم أسوة للدعاة، ومنها الاقتداء بإبراهيم عليه السلام، وهو الذي حض الله في كتابه على الاقتداء به: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[الممتحنة: ٤].
٢. المساهمة في تجديد الحوار الدعوي في ظل غياب الوعي الدعْوي عند بعض المسلمين.
٣. المساعدة في ضبط الخطط الدعوية، ليتم فهم فقه الدعوة، ومعرفة أركانها وأساليبها ووسائلها وأهدافها على ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، بما يُمكِّن الدعاة إلى الله تعالى من عرضها بأحسن طريقة، وأيسر أسلوب، وأقرب منهج، وأكثر ملاءمة للمدعوين وللواقع الدعوي.

منهجية البحث:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

اتخذنا منهجية في البحث تمثلت في السير وفق المنهج الوصفي[١]، والتحليلي[٢]، لأن ذلك ما تقتضيه طبيعة البحث.

الدراسات السابقة:

توجد بعض الدراسات التي تشترك مع هذا البحث من حيث العلاقة بإبراهيم عليه السلام، ولكنها لم تتناول الأساليب الجدلية في دعوته، ولكي تستبين جدة هذا البحث وأهميته، سوف أعرض أهم تلك الدراسات وأصنفها وفق مجالها البحثي، كالآتي:

١ – دراسة الباحث: مسفر عبد الله البواردي، بعنوان: (أسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام)، رسالة ماجستير، كلية الدعوة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ، وهذا البحث كما هو واضح من عنوانه يتحدث عن الداعي والمدعو وموضوع الدعوة ووسائلها وأساليبها في (سورة إبراهيم)، ولكنه لا يتعرض للأساليب الدعوية والجدلية عند إبراهيم عليه السلام لا من قريب ولا من بعيد غاية ما هنالك أنه يشترك مع بحثي في اسم إبراهيم عليه السلام.

٢ – دراسة الباحثة: سناء عبد الرحيم حلواني، بعنوان: (جدل إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم)، وهو بحث محكم منشور في مجلة القراءة والمعرفة، جامعة عين شمس، كلية التربية، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، العدد (١٨٣)، ٢٠١٧م، وقد استعرضت الباحثة نماذج من آيات الجدل في دعوة إبراهيم مع أبيه وقومه وأتباعه، وجعلتها دراسة في التفسير الموضوعي كون الباحثة تعمل بقسم الكتاب والسنة في كلية الدعوة وأصول الدين، دون أن تربط بحثها بالجانب الدعوي ألبتة.

٣ – دراسة الباحث: يوسف عمر العساكر، (الجدل في القرآن الكريم خصائصه ودلالاته – جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجاً: دراسة لغوية دلالية)، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدة)، ٢٠٠٤م.

فهذا البحث دراسة لغوية للجدل، وتطرقَت الدراسة إلى الجانب النظري للجدل؛ مفهومه وتطوره عند اليونان والعرب، وفي الجانب التطبيقي دراسة الجدال الدائرين الأنبياء مع أقوامهم، ودراسته دراسة صوتية وصرفية ونحوية.

---

(١) هو منهج يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة. ينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، (ص١٨٢).

(٢) هو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً، ويعتمد على ثلاث عمليات: التفسير والنقد والاستنباط. ينظر: أبجديات البحث في العلوم الإسلامية، فريد الأنصاري، (ص٩٦، ٦٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٤ – دراسة الباحثة: مريم عبد الحميد محمد، بعنوان: (الجدل والمجمل والمبين في القرآن الكريم)، مجلة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠١٤م.

وهذا البحث يتناول أنواع الجدل ونماذج من آياته، وآداب الجدل، كما عرض لنماذج من جدال إبراهيم مع عليه السلام مع أبيه وقومه دون تحليل وربط بالدعوة.

٥ – دراسة: الباحثة: بو صلاح فايزة، بعنوان: (الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام: دراسة تداولية)، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٠م، وهذه دراسة تتناول الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام دراسة لغوية بلاغية تداولية وفق المنهج اللساني الحديث، بعيداً عن المعالجة الدعوية.

وتتمثل الإضافة العلمية لهذا البحث **في** تناول الأساليب الدعوية والجدلية في دعوة إبراهيم عليه السلام من منظور دعوي متخصص، يضفي عليها سمت الدعوة وجوهرها، وأدبها.

وقد قمنا بتقسيم البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: فيها أهمية البحث، وأهدافه، ومشكلته وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: تعريف مصطلحات البحث، وفيه:

أولاً: معنى الأساليب الدعوية لغًة واصطلاحًا وعلاقتها بالدعوة.

ثانياً: معنى الأساليب الجدلية لغًة واصطلاحًا وعلاقتها بالدعوة

ثالثاً: الألفاظ ذات الصلة بالأساليب الدعوية الجدلية

المبحث الأول: خصائص الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خصائص الأساليب الدعوية في القصص القرآني

المطلب الثاني: خصائص الأساليب الجدلية في القصص القرآني

المطلب الثالث: هدف الأساليب الدعوية والجدلية ومسالكها

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية والجدلية في قصة إبراهيم عليه السلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأساليب الدعوية العاطفية في قصة إبراهيم عليه السلام

المطلب الثاني: أساليب المواجهة المباشرة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

المطلب الثالث: الأساليب العقلية الجدلية في قصة إبراهيم عليه السلام.

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: تعريف مصطلحات الدراسة

أولا: معنى الأساليب الدعوية في اللغة والاصطلاح وعلاقتها بالدعوة:

١ – تعريف الأساليب الدعوية في اللغة والاصطلاح:

الأسلوب في اللغة:

الاستقامة والامتداد، ويقال لسطر النخيل: أسلوب، وهو الطريق والوجه والمذهب والفنّ. وقولهم: أخذ فلان في أساليب من القول يعني: أفانين منه(٣).

قال الزمخشري رحمه الله (ت٥٣٨هـ): "وسلكت أسلوب فلان: طريقته. وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله واستلبه"(٤).

قال المرتضى الزبيدي رحمه الله (ت١٢٠٥م): "والأسلوب: السَّطْرُ من النَّخِيل. و(الطَّرِيقُ) يَأْخُذُ فِيه. وكُلُّ طَرِيقٍ مُمْتَدَ فَهُوَ أُسْلُوبٌ. والأُسْلُوبُ: الوَجْهُ والمِذْهَبُ. يُقَال: هُمْ فِي أُسْلُوب سُوْءٍ. ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب. وَقد سَلَكَ أُسْلُوبَه: طَرِيقَتَه. وكلامُه عَلَى أَسَالِيبَ حَسَنة. والأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ. يُقَال: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أَسَالِيبَ من القَوْل، أَي: أَفَانِين مِنْهُ. والأُسْلُوبُ: (عُنُقُ الأَسَد)؛ لأَنَّهَا لَا تُثْنَى، وَمن الْمجَاز: الاسْلُوبُ: (الشُّمُوخُ فِي الأَنْفِ)"(٥).

الأسلوب في الاصطلاح:

يدلّ على المذهب ووجوه القول وفنونه، وينصبّ "على الطريقة الخاصّة في ترتيب المعاني، وما تحويه هذه الطريقة من إمكانات نحويّة تميّز ضرباً عن ضرب، وأسلوباً عن أسلوب"(٦).

ومن التعريفات الجامعة للأسلوب أنه: "الطريقة أو المذهب أو الوجه الّذي تصاغ به الألفاظ والعبارات، وكيفيّة التعبير عنها

---

(٣) ينظر: أساس البلاغة: (٤٥٢/١)، لسان العرب: (٤٧١/١)، المعجم الوسيط: (٤٤٠/١، ٤٤١)، مادة (سلب) في الجميع.

(٤) أساس البلاغة: (٤٥٢/١).

(٥) تاج العروس: (٧١/٣، ٧٢).

(٦) البلاغة والأسلوبيّة: (ص: ٢٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ونظمها في الكلام، سواء أكانت متعلّقة بالأساليب الإنشائيّة، كالأمر والنهي والاستفهام، أم بالأساليب الخبريّة"[٧].

وبلاغة الأسلوب لها دور مؤثر في تحريك المشاعر والتأثير في عقول المخاطبين، وهذه فائدة الأساليب الدعوية في قصص الأنبياء عليهم السلام، خاصة قصة إبراهيم عليه السلام.

وهذه تعريفات عامة أما الأسلوب الدعوي المقصود في هذا البحث فإنه: مجموعة من الطرق القولية والعملية التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعوة وإقناعه بما يدعو إليه، ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إليه[٨]، أو هو الطريق والسبيل الذي به يبلغ الداعية ما يريد أن يبلغه للناس[٩].

فالأساليب الدعوية هي: الطرق المؤثرة والكيفيات المقنعة التي يسلكها الداعي لتبليغ الإسلام، والحث على العمل بأصوله وفروعه.

الدعوة في اللغة:

تدور معاني الدعوة في اللغة حول أمرين[١٠]: الأول: الطلب، يقال دعا بالشيء طلب إحضاره. والثاني: الرغبة إلى الله تعالى.

وهي مصدر دعا يدعو دعوةً ودعاءً، وقد دعا فهو داعٍ، والجمع دُعَاة، وهي: الطلب والمناداة، يقال: دعا بالشيء، أي: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء، أي: حثَّ على قصده، والدعوة النداء، ومنه ودعا فلاناً، أي: صاح به وناداه، والدعوة السَّوْق، يقال: دعاه إلى الأمير، أي: ساقه إليه، ويقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى القتال، ودعاه إلى المذهب، بمعنى: حثَّه على اعتقاده وساقه إليه، وتَدَاعَى القوم، أي: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا[١١].

الدعوة في الاصطلاح:

الأول: نشر وتبليغ الدين الإسلامي وتعاليمه، ومن تعريفاتها:

١- هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله؛ بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة

---

(٧) أسلوب الأمر ومعانيه الثواني في القرآن الكريم: (ص: ٦).

(٨) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله: (ص١٠٤).

(٩) أصول الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، بدير محمد، (ص١٣٣).

(١٠) ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): (٦/ ٢٣٣٦)، المفردات في غريب القرآن: (ص: ٣١٤)، القاموس المحيط: (ص: ١٦٥٥)، مادة (دعو) في الجميع.

(١١) ينظر: المفردات في غريب القرآن: (١٦٩، ١٧٠)، لسان العرب: (٢٥٩/١٤)، المعجم الوسيط: (٢٨٦) مادة (دعو) في الجميع.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه(١٢).

٢- هي قيام مَن عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة(١٣).

والثاني: العلم الذي يهتم بنشر الدين وتبليغه للناس، وقد عرّفت بتعاريف منها:

١- هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيَّة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق(١٤).

٢- هي فنٌّ يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو نحافظ على دينهم بواسطتها(١٥).

٢ – علاقة الأساليب بالدعوة، وبيان أنواع الأساليب الدعوية:

أ. علاقة الأساليب الدعوية بالدعوة:

يمكن القول بأن الأسلوب والدعوة يختلفان في المدلول اللغوي كما تقدم، وأما في الجانب الاصطلاحي فإن الأسلوب يعد جزءًا من الدعوة باعتباره يندرج تحت ركن (المدعو به)، وهو أحد أركان الدعوة الأربعة كما هو معلوم.

كما تتجلى علاقة الأساليب الدعوية بالدعوة من خلال الآتي:

١-الدعوة طريقة وسلوك، والأساليب وسائل وأدوات لتوصيل الناس إلى طريق الله عبر المنهج الدعوي.

٢-الدعوة ومنهجها واضحان ثابتان، بخلاف الوسائل والأساليب تتطور وتتجدد.

٣-الدعوة لها مبادئ وركائز محددة تقوم عليها، والأساليب تتعدد وتتنوع ولها موارد متنوعة أيضاً في إطار المبادئ الدعوية.

فعلاقة الدعوة بأساليبها علاقة وثيقة، بحيث إن الأساليب تأخذ مشروعيتها من النصوص الشرعية، ولا تخرج عن أطرها

---

(١٢) ينظر: مجموع الفتاوى: (١٥٨/١٥)، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، القحطاني: (٦/١)، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة: (ص: ٢٣).

(١٣) الدعوة إلى الله: خصائصها، مقوماتها، مناهجها، أبو المجد السيد نوفل، (ص١٨).

(١٤) الدعوة الإسلامية أصولها وضوابطها، أحمد غلوش، (ص١٠).

(١٥) الدعوة والإنسان، عبد الله يوسف الشاذلي: (ص٣٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

المشروعة.

ومع تنوع الأساليب وتعددها إلا أنه ينبغي للداعية أن يختار منها ما لا محذور ولا مخالفة شرعية فيها، وعليه أن يأخذ بالمناسب منها لكل صنف من أصناف المدعوين، ويراعي في ذلك ما يناسب عقيدة كل صنف، وعلمه، ومكانته، وجنسه، ولغته، وبيئته(١٦).

ب. أنواع الأساليب الدعوية(١٧):

أولاً: الأساليب القولية:

وهي كل أساليب التبليغ بالقول كالخطبة، والمناظرة، والمحاضرة، والندوة، والمقالة، والرسالة، وتأليف الكتب، ونحوها ولكل منها خصائصها وسماتها وتطبيقاتها وأساليبها، ومن أمثلتها:

أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما يفيد قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].

أسلوب المناظرة(١٨)، كما في قصة إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٨].

أسلوب المحاجاة القوية الشديدة في موضعها، كما ذكر القرآن عن إبراهيم عليه السلام حينما اشتد عناد قومه، فقال: ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

أسلوب الاستفهام، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الصافات: ٨٥ – ٨٧]، "و(ماذا تعبدون) استفهام إنكاري على أن يعبدوا ما يعبدونه ولذلك أتبعه باستفهام آخر إنكاري

(١٦) ينظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: (٤/٢١٤).

(١٧) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة: (ص: ١٢٦) وما بعدها.

(١٨) سيأتي تعريفها لاحقاً.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وهو (أإفكا آلهة دون الله تريدون). وهذا الذي اقتضى الإتيان باسم الإشارة بعد (ما) الاستفهامية الذي هو مشرب معنى الموصول المشار إليه، فاقتضى أن ما يعبدونه مشاهد لإبراهيم فانصرف الاستفهام بذلك إلى معنى دون الحقيقي وهو معنى الإنكار. وجملة: (أإفكا آلهة دون الله تريدون) بيان لجملة: (ماذا تعبدون) بيَّن به مصب الإنكار في قوله: (ماذا تعبدون) وإيضاحه، أي: كيف تريدون آلهة إفكا.... وفرَّع على استفهام الإنكار استفهام آخر، وهو قوله: (فما ظنكم برب العالمين)، وهو استفهام أريد به الإنكار والتوقيف على الخطأ، وأريد بالظن الاعتقاد الخطأ. وسمَّي ظنا لأنه غير مطابق للواقع ولم يسمه علماً لأن العلم لا يطلق إلا على الاعتقاد المطابق للواقع... والمعنى: أن اعتقادكم في جانب رب العالمين جهل منكر"[١٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ٦٩ - ٧٧]، فاستفهم إبراهيم على معبوداتهم، فأجابوا عنه: (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين)، وإنما أراد بهذا الاستفهام التمهيد إلى المحاجة، فصوره في صورة الاستفهام لسماع جوابهم فينتقل إلى إبطاله، كما هو ظاهر من ترتيب حجاجه في الآيات[٢٠].

ثانياً: الأساليب الفعلية (العملية):

وهي كل أساليب التبليغ بالفعل، كالقدوة الحسنة والجهاد، والإنكار باليد، والهجر، ومن أمثلتها:

أسلوب التغيير باليد وتأكيده بأسلوب القسم، كما في قصة إبراهيم عليه السلام، فقد نوه القرآن إلى ذلك في قصة كسر الأصنام، حيث يقول: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٧، ٥٨]، ويقول: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ ﴾[الصافات: ٩١- ٩٣].

والآيات تفيد أن إبراهيم عليه السلام من تغيير المنكر بالقول إلى تغييره باليد معلنا عزمه على ذلك بقوله: وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين مؤكدا عزمه بالقسم، فالواو عاطفة جملة القسم على جملة الخبر التي قبلها، والتاء في (تالله) تختص بقسم على أمر متعجب منه وتختص باسم الجلالة... وسمى تكسيره الأصنام (كيداً) على طريق الاستعارة أو المشاكلة التقديرية

(١٩) التحرير والتنوير: (١٣٨/٢٣- ١٤٠).
(٢٠) ينظر: التحرير والتنوير (١٣٩/٢٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها فلا يستطيع أن يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد(٢١).

أسلوب القدوة الحسنة(٢٢)، ومن الآيات التي دلت عليه: قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١]، وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[الممتحنة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الممتحنة: ٦].

والقدوة الصالحة فيها أعظم أثر في الناس، فما يحمله الداعية من أخلاق المسلم الحق كفيلة بالتأثير في الآخرين، وأن يكون الداعية محل الاحترام والتقدير والقبول، فدليل الفعل أرشد من دليل القول، ولذلك لما أرادت قريش أن تطعن بالرسول ﷺ، اختلقت كل خلق مشين لإلصاقه به، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلًا، ولم يصدقهم الناس، وذلك لظهور الأخلاق العظيمة ومعرفة الناس بها. والنفوس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه، ولا ينتفع به؛ ولأجل هذا قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[هود: ٨٨](٢٣).

الفرق بين الوسيلة الدعوية والأسلوب الدعوي:

الوسيلة الدعوية: هي الأداة المنضبطة شرعاً، الموصلة إلى غاية منضبطة، مثل المنبر.

أما أسلوب الدعوة: فهو الطريقة المقنعة المؤثرة في المدعو بما يتناسب مع حاله.

وبذلك تعتبر الوسيلة أداة ناقلة للأسلوب من خلالها(٢٤).

فهناك ارتباط بين الوسائل والأساليب الدعوية من ناحية، واختلاف من ناحية أخرى؛ فالارتباط من جهة الغاية، فغاية

---

(٢١) ينظر: التحرير والتنوير (٩٧/١٧).

(٢٢) وهي الاقتداء بأهل الخير والفضل والصلاح في كل ما يتعلق بمعالي الأمور وفضائلها من القوة والحق والعدل، ينظر: القدوة الحسنة: مقصود القدوة ومعناها، صالح بن حميد، (ص٦٠).

(٢٣) البصيرة في الدعوة إلى الله: (ص: ١٣٢).

(٢٤) ينظر: دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود الحارثي، (ص: ١٣٧، ١٤٢، ٢١٥، ٢١٧).

الوسائل والأساليب واحدة، وهي الدعوة إلى الله وتبليغ دينه، وأما الاختلاف بينهما فمن حيث الحد اللغوي والاصطلاحي، فالوسائل عبارة عن أدوات، والأساليب عبارة عن فنون من القول الملفوظ أو المكتوب، فمثلاً الخطابة وسيلة دعوية باعتبارها أداة للدعوة، ولكن اختيار الألفاظ، وطريقة البيان تعد من قبيل الأساليب(٢٥).

ثانياً: معنى الأساليب الجدلية في اللغَة والاصطلاح وعلاقتها بالدعوة:

١ – تعريف الجدل في اللغة والاصطلاح:

الجدل في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: (ت٣٩٠هـ): "الجيم والدال واللام أصلٌ واحدٌ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسالٍ يكون فيه، وامتدادِ الخصومة ومراجعةِ الكلام"(٢٦).

فالجدل له معان في اللغة منها:

١ – امتداد الخصومة ومراجعة الكلام(٢٧).

٢ – الإحكام، يقال: جدلت الحبل، أي أحكمت فتله، وجدلت البناء، أي: أحكمته(٢٨).

٣ – الغلبة: يقال جادلت الرجل فجدلته، أي: غلبته(٢٩).

٤ – القوة والفصاحة، ومنه حديث كعب بن مالك: (ولقد أُعطِيتُ جدلاً)(٣٠)، أي: أي فصاحة وقوة في الكلام وبراعة بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إلي إذا أردت(٣١).

---

(٢٥) ينظر: علم الدعوة، محمد بقنة الشهراني، (ص٣٣٠).

(٢٦) مقاييس اللغة: (٤٣٣/١)، مادة (جدل).

(٢٧) نفس المصدر والصفحة.

(٢٨) المفردات في غريب القرآن: (ص: ١١٧).

(٢٩) لسان العرب: (١٠٥/١، ١٠٦).

(٣٠) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]، (٣/٦)، رقم: (٤٤١٨)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (٢١٢٠/٤)، رقم: (٢٧٦٩).

(٣١) شرح النووي على صحيح مسلم: (٩١/١٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٥ – الشد والفتل، يقال: جَدل الحبل، أي: فتله(٣٢).

٦ – الصرع: ومنه قولهم جدله فانجدل، وتجدل صرعه على الجدالة(٣٣).

الجدل في الاصطلاح:

ورد بأكثر من معنى، منها: المعنى الأول: الخصومة والمنازعة في البيان والكلام(٣٤). وهو من المعنى اللغوي. المعنى الثاني: المشادة الكلامية(٣٥).

وعرف الجدل بتعريفات كثيرة منها:

فقيل: هو تَرَدُّدُ الكلام بن اثنين قَصَدَ كلُّ واحدٍ منهما تصحيحَ قوله، وإبطال قولِ صاحبهِ(٣٦).

وقيل هو: القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان.

أو هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيق(٣٧).

وقيل: هو منازعةٌ بن متفاوضين لتحقيق الحقِّ وإبطال الباطل(٣٨).

وهدف الجدل: إظهار المذاهب وتقريرها، وإثبات دعوى المتكلم(٣٩)، وتحقيق الغلبة بالدليل والحجة في اتخاذ رأي ما وإسقاط الرأي المخالف(٤٠).

---

(٣٢) أساس البلاغة (١/١٢٦)، مادة (جدل).

(٣٣) مقاييس اللغة: (١/٤٣٤)، مادة (جدل).

(٣٤) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر الألمعي: (ص: ٢٠).

(٣٥) ينظر: الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية: (ص: ١٤).

(٣٦) المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي: (ص: ١١)

(٣٧) التعريفات (ص: ٧٤).

(٣٨) علم الجدل، نجم الدين الطوفي (ص: ٤).

(٣٩) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي: (ص: ٢٠).

(٤٠) ينظر: الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، التومي: (ص: ١٤)، بتصرف

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني (قصة إبراهيم عليه السلام أنموذجا)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ثانياً: علاقة الجدل بالدعوة:

الدعوة تتطلب الرفق واللين والعاطفة، والجدل والمناظرة والإقناع العقلي يتطلب الشدة وإفحام الخصم بالاستدلالات العقلية والنقلية.

ويتطلب الجدل أيضا: معرفة بقواعد الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه(٤١)، كما يتطلب الحجة والدليل. والدعوة قد تحتاج إلى محام جيد يدافع عنها.

وقد سردت قصة إبراهيم عليه السلام الأساليب الجدلية بالحجة والبرهان لرد كيد الباطل وإلزام الخصوم الحجة كما سيأتي. والمجادلة بالتي هي أحسن تعني: عدم الخروج عن آداب المناظرة، فيقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول والاستدلال(٤٢).

فالجدل من أساليب الدعوة، وقد يكون بالشدة في مواطن، وبالتي هي أحسن في مواطن، وباللين والعاطفة في مواطن. والجدل ينبغي أن يوظف لرد الحق إلى نصابه، وإلزام المبطل الحجة كما فعل إبراهيم عليه السلام مع قومه وأبيه.

أقسام الجدل:

بحسب التوصيف الآنف الذكر فإن الجدل ينقسم إلى قسمين:

الأول: الجدل المحمود، وهو الذي ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٦].

الثاني: الجدال المذموم، وأشار إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ ﴾[الكهف: ٥٦].

والجدل الذي أقره القرآن والسنة هو الجدل المحمود لإثبات الحق ورد الباطل، ولا يقران الأساليب الجدلية التي تبتعد عن الحق وتعتمد على التلاعب بالحقائق، فيجادل الداعي بالتي هي أحسن، "وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلاً، ومن

(٤١) ينظر: مقدمة ابن خلدون: (٤٢٨/٥).

(٤٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون: (٤٢٨/٥).

ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأنْ لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوه"(٤٣).

ثالثاً: الألفاظ ذات الصلة بالأساليب الدعوية الجدلية:

١. الحوار: أصل الحوار في اللغة من الحَوْرِ وهو الرُّجُوعُ عَن الشَّيْءِ وإِلَى الشَّيْءِ. والمحَاوَرَة: المحاوَبَةُ ومُرَاجَعَةُ النُّطق والكَلاَم في المخَاطَبَة، وقد حَاورَه، وَتَحَاوَرُوا: تَرَاجَعُوا الكَلاَمَ بَيْنَهُم، وهم يَتَرَاوَحُون ويَتَحَاوَرُون(٤٤).

وفي الاصطلاح: هو الكلام المتبادل بين طرفين في أسلوب لا يقصد به الخصومة(٤٥).

الحوار الدعوي: تخصيص الكلام المتبادل بين طرفين في معرفة وجه الحق وهداية الناس إلى الإسلام.

والفرق بين الجدال والحوار أو المحَاوَرَة: أن الجدال فيه دفع للخصم وإلزامه الحجة، بينما المحاورة هي المراجعة في الكلام، ومنه التحاور أي: التجاوب، وهي ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه، وقد ورد لفظ الجدل والمحاورة معاً في موضع واحد من سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[المجادلة: ١] وقريب من ذلك المناقشة والمباحثة(٤٦).

ومن ورود الحوار في القرآن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: ٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾[الكهف: ٣٧].

٢. المحاجّة: المحاجة في اللغة: مأخوذة من الحَج، وأصل الحَجّ: الغلبة بالحُجَّة، يقال: حجَّه يحجُّه حجّاً إذا غلبه على حجَّته، وفي الحديث: (فحجَّ آدمُ موسى)(٤٧) أَي: أغلبه بالحجَّة، والحَجُّ: كثرة الاختلاف والتردُّد، وقد حجَّ بنو فلان فلاناً إذا أَطالوا الاختلاف إليه، وتقولُ: حججتُ فلاناً إذا أَتَيْتَه مرّةً بعد مرّة، وقيل: حجَّ البيت؛ لأَنّهم يأْتونه كلّ سنة، وفي حديث الدجال:

---

(٤٣) تيسير الكريم الرحمن: (٤: ٤٥٢).

(٤٤) تاج العروس: (١١/٩٨، ١٠٨).

(٤٥) الحوار أصوله وآدابه السلوكية، أحمد الضويان، (ص: ١٧).

(٤٦) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، الألمعي: (ص: ٢٩).

(٤٧) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، (٤/١٥٨)، رقم: (٣٤٠٩)، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٤/٢٠٤٣)، رقم: (٢٦٥٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

(إن يخرج وأنَا فيكم فأنا حجيجه)[٤٨] أي: محاججه ومغالبه بإظهار الحُجَّة[٤٩].

والمحاجة في الاصطلاح: قيل: هي استدلال الخصم لإثبات دعواه بما يملك من أدلة وبراهين، دون إلزام خصمه على اتباع مذهبه وآرائه. وتختلف المحاجة عن الجدل من حيث إن الجدل فيه إبراز الرأي باعتباره الأصح، مع إلزام الخصم باتباعه[٥٠].

والفرق بينهما أن المطلوب بالمحاجة: هو ظهور الحجة، والمطلوب بالجدال: هو الرجوع عن المذهب[٥١].

٣. المناظرة: والمناظرة في اللغة: هي المباراة في المحاجة [٥٢].

والمناظرة في الاصطلاح: هي تردد الكلام بين الشخصين، يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ليظهر الحق[٥٣].

الفرق بين الجدل والمناظرة: الجدل يُراد منه إلزام الخصم ومغالبته، أما المناظرة فهي تردد الكلام بين شخصين، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كلٍّ منهما في ظهور الحق.

٤. المناقشة: والمناقشة لغة: يقال: نقش الشيء نقشا: بحث عنه واستخرجه، ويقال: نقش الشوكة بالمنقاش، ونقش الحق من فلان، وناقشه مناقشة ونقاشا استقصى في حسابه[٥٤].

ولا يخرج معناها الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، فهي حوار لفظي بين طرفين.

والفرق بين المناقشة والجدل أن كلا المتناقشين يحاول إثبات صحة رأيه، مع الرغبة في إظهار الحقّ ودحض الباطل، بينما يراد من الجدال إلزام أحد المتجادلين الآخر برأيه، ويغلبه بالنّقاش.

---

(٤٨) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، (٤/٢٢٥٠)، رقم: (٢٩٣٧).

(٤٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: (١/٨٩٥)، تاج العروس: (١/١٣٥٠)، مادة (حجج).

(٥٠) الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، التومي: (ص: ٩).

(٥١) الفروق اللغوية، العسكري: (ص١٥٨).

(٥٢) المعجم الوسيط: (٢/٩٣١)، مادة (نظر).

(٥٣) شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة: (ص: ٧).

(٥٤) المعجم الوسيط: (٢/٩٤٦)، مادة (نقش).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

المبحث الأول: خصائص الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني:

المطلب الأول: خصائص الأساليب الدعوية في القصص القرآني

القصص القرآني له أهداف سامية في تقويم النفس البشرية وهداية الناس، وهو أسلوب دعوي جمع أساليب الدعوة ووسائلها، وفي المنهج الدعوي للأنبياء لاسيما قصة إبراهيم عليه السلام، نجده عليه السلام قد انتهج أساليب متنوعة أسلوب الرفق واللين في وقته، وأسلوب الشدة والحزم والتغيير باليد في وقته، وأسلوب الحجة والجدل والمناظرة في وقته، وهذه الأساليب نهجها إبراهيم عليه السلام وراعى حال المخاطبين بالدعوة، وراعى مقتضى الحال كذلك.

والأساليب المتنوعة للدعوة لها خصائص ومميزات، وسوف أذكر هنا خصائص ثلاثة أساليب رئيسة منها، كالآتي:

أولًا: خصائص أسلوب الحكمة:

الحكمة هي أم الأساليب الدعوية، ونجاح الدعوات تحتاج إلى أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، وتظهر أهمية الحكمة وميزاتها وخصائصها، في النقاط الآتية(٥٥):

١- أنها الأسلوب الأول من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، التي حث الله على الدعوة بها، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥]، فأمر الله بها مطلقاً من غير تقييدها بالحسن؛ لأنها حسنة بذاتها.

٢ - إمكان تعلمها واكتسابها وتعليمها، لأنها خلق حسن كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[الجمعة: ٢]، وقوله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)(٥٦)، فهي موضع تحاسد وغبطة، واستحقاقها ذلك لشرفها ومكانتها.

٣- أن الله نسبها إلى نفسه، وجعل إيتاءها من عنده فقال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا

---

(٥٥) ينظر: الحكمة، العمر، (ص: ١٣).

(٥٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة (٢٥/١)، رقم: (٧٣)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، (٥٥٩/١)، رقم: (٨١٦)، ومعنى (فسلطه على هلكته)، أي: على إنفاقه في الطاعات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[البقرة: ٢٦٩].

٤- أن النبي ﷺ كانت مهمته تعليم الحكمة، فجاءت أعماله ملازمة لها في أكمل صورها.

٥ - عظم آثارها في الدعوة فالداعية الحكيم يصل بواسطة الحكمة إلى ما لا يصل إليه غيره فيحقق أهدافه بأسرع وقت(٥٧).

٦- عطاء وهبة ربانية، كونها جامعة بين العلم والعمل، وقد مدحها الله عز وجل باشتمالها على الخير الكثير، فقال الله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[البقرة: ٢٦٩].

٨ - أنها تستوعب أحوال الدعوة، فمجادلة الظالم المعاند في موضعه، والزجر والقوة والغلظة والشدة والسيف في مواضعها، وهذا هو عين الحكمة، وكذلك وضع أسلوبي اللين والشدة في موضعهما من تمام الحكمة، وهكذا. وكل هذا مما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[التوبة: ٧٣]، كل ذلك مع الاستقامة على دين الله وحسن النية وسلامة القصد وصدق الرغبة فيما عند الله تعالى، جار على سبيل الحكمة، وإلا كان كل ذلك نوعاً من النفاق.

٩- تحصيل الحكمة فيه قدر من المجاهدة والتوفيق، وإن كان هناك علاقة بين الحكمة والذكاء من حيث إنه مادة ووسيلة للتعرف على الحكمة، لكن لا يلزم منه وجودها ولا تحصيلها به. وإذا عُرّف الذكاء بحسن التكيف والتلاؤم مع البيئة والأحوال والأحداث الطارئة، فإن هذا لا يصلح تفسيراً للحكمة وإن حاوله البعض؛ إذ يدخل فيه المنافق والمجرم(٥٨)، في حين أنهما لا يدخلان في مربع الحكمة.

١٠- أن الدعوة بالحكمة تراعي الآتي:

- الحال والمآل والتوقيت وتخير المناسبة.
- مقتضى الحال، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون، وأخذهم بالرفق والتلطّف.
- تخير القول الحكيم، والرفق واللين، وتغليب الترغيب على الترهيب.

---

(٥٧) الدعوة إلى الله في ضوء قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)، (ص٥٨١).

(٥٨) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني: (١/١٧- ١٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ولقد أوتي إبراهيم عليه السلام نوعيْ الحكمة معاً، قال الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ): "المراد من الحكمة إما العلم وإما فعل الصواب ... واعلم أن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به. فمرجع الأول إلى العلم والإدراك المطلق، ومرجع الثاني إلى فعل العدل والصواب، ولذلك سأل إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾[الشعراء: ٨٣] وهو الحكمة النظرية، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[الشعراء: ٨٣]، وهو الحكمة العملية(٥٩).

ثانياً: خصائص أسلوب الموعظة الحسنة:

لأسلوب الموعظة الحسنة خصائص تميزه عن غيره من أساليب الدعوة:

١ – الإخبار من الله تعالى أنه كتابه الكريم موعظة وذكرى للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[هود: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٥٧]، "والموعظة معناها: التذكير بالتزام الحق والخير، واجتناب الباطل والشر، بأسلوب يلين القلوب، ويرقق النفوس. والمعنى: يا أيها الناس قد جاءكم من الله تعالى كتاب جامع لكل ما تحتاجون إليه من موعظة حسنة ترق لها القلوب، وتخشع لها النفوس. وتصلح بها الأخلاق ومن شفاء لأمراض صدوركم. ومن هداية لكل إلى طريق الحق والخير، ومن رحمة للمؤمنين ترفعهم إلى أعلى الدرجات وتكفر ما حدث منهم من سيئات(٦٠).

٢ – أن الله تعالى أمر رسله وأنبياءه والدعاة من بعدهم بالأخذ بهذا الأسلوب، فقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾[النساء: ٦٣].

٣ – ثناء الله تعالى على هذا الأسلوب، ومدحه له، لما يترتب عليه من فعل الأوامر، وترك النواهي، لاشتمالها على مصالح الدارين، ودفع مضارهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨](٦١).

٤ – إشادة النبي ﷺ بهذا الأسلوب، وجعله من أسس الدين، قال ﷺ: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه

---

(٥٩) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): (٥٨/٧).

(٦٠) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: (٨٨/٧).

(٦١) الدعوة إلى الله في ضوء قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ...)، (ص٥٩٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامت)[٦٢].

٥- وضوح عباراته وألفاظه، ولطافتها ومناسبتها للمقام، وعظم آثاره في نفوس المدعوين، بما يحصل من الإقناع العقلي وتملك القلوب ومخاطبة المشاعر[٦٣].

ثالثًا: خصائص أسلوب النداء:

١ – غلبة العاطفة، وقد استعمل كثيراً في هذا الجانب الإعلامي لما له من وقع على المستمع، وتشريف له بالنداء الرباني، فيبث في النفوس الحماسة، والمسارعة للطاعة[٦٤].

والإرشاد والتوجيه عن طريق النداء يستميل المدعوين إلى الحق بألطف أسلوب، وأكمل بيان، حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويتنبهوا من غفلتهم.

٢ – أن القرآن الكريم حافل بهذا الأسلوب وبخاصة في المخاطبة بالأحكام الشرعية للتأثير على المدعوين والمكلفين لحملهم على الاستجابة لأمر الله تعالى ونهيه، واستمالتهم وإدخال السرورِ عليه بعد تنبيهه إلى ما يُرادُ دعوته إليه.

دلالة هذا الأسلوب على حرص الداعية على المدعوين وأشفاقه عليهم، ومنه قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾[غافر: ٢٩ – ٣٢]، لقد "كان مؤمن آل فرعون في نصحه لقومه من أشدّ الناس إخلاصا لهم وحبّا وحرصا على إنقاذهم من ورطة الكفر، والدخول في ساحة الإيمان بالله عزّ وجلّ وحده لا شريك له"[٦٥].

٣ -كثر استعمال أسلوب النداء في القصص القرآني، سواء مع الآباء أو الأبناء في الدعوة، ومن أمثلة ذلك ما في قصة نوح عليه السلام مع ابنه، قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[هود: ٤٢]، وما في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ

(٦٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (٧٤/١)، رقم: (٥٥).
(٦٣) الدعوة إلى الله في ضوء قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ...)، (ص٥٩١).
(٦٤) ينظر: صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم: (ص: ١٧٧).
(٦٥) التفسير المنير: (١٣٣/٢٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[الصافات: ١٠٢]، وما في قصة إبراهيم مع أبيه كذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[مريم: ٤٣- ٤٥]، وما في قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[يوسف: ٦٧]، وما في قصة لقمان الحكيم مع ابنه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]، والآيات في هذا كثيرة.

فأسلوب النداء يأتي لإثارة العاطفة، وهو أسلوبٌ يفيد طلبَ استدعاء المتكلِّم للمخاطب، للإقبال عليه والتنبه إلى ما يُلقى إليه من الكلام بعد هذا الاستدعاء، ويتم بأداة نداء تكون حرفًا أو مما وُضِع للنداء.

يقول ابن أبي جمرة رحمه الله (ت٥٩٩هـ): "النداء إذا وقع من الفاضل إلى المفضول فإنه يدخل السرور والبهجة على المنادى، فالأذهان قد يطرقها فكرة فتكون بها مشغولة، فلا تَعِي كلّ ما يُلقَى إليها، فاستخدام النداء يُساعِد في إحضار ذهن المدعوّ إلى الداعي، ليَعِي ما يلقى إليه"(٦٦).

وإذا كان في النداء استدعاء وتنبيه للذِّهن وتنبيه، فإنَّ النداء بعلاقة البنوة والأبوة فيه إثارة للعاطفة الفطرية بين الأب وابنه، فتفتح الطريق للتواصُل والاستجابة بين الأب الداعية والابن المدعو والعكس، وإن إشعار المدعو بالقرابة مفيد في ألفة الداعي والاستجابة للدعوة.

وقد ورد النداء في القرآن الكريم في قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[مريم: ٤١ – ٤٥]، فلقد دعا إبراهيم عليه السلام أباه إلى اتباع الحق بألطف أسلوب، فقال: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فاتبعني أهدك صراطاً سوياً)، "وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، ما لا يخفى، فإنه لم يقل: (يا أبت أنا عالم، وأنت جاهل) أو (ليس عندك من العلم شيء)، وإنما أتى بصيغة تقتضي أن عندي وعندك علماً، وأن الذي وصل إلي لم يصل

(٦٦) بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها: (١٣٤/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتبع الحجة وتنقاد لها"(٦٧).

رابعاً: خصائص أسلوب الزجر والنهي:

الزجر في اللغة هو: المنع والنهي والانتهار(٦٨)، وهو ضد اللين، ومن الإنكار بقوة اللسان، بأسلوب فيه شدة، الأسباب موضوعية، تعرف بالنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم وفي مناسبة الطريقة التي يخاطبون بها ومقتضياتها.

ومع أن الأصل في أساليب الدعوة اتباع الحكمة والطرق التي هي أحسن، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الزجر أسلوبا دعويا في بعض الأحيان، عند وجود المقتضي وانتفاء المانع.

والزجر والنهي يتميز بالشدة وعدم الشفقة، مراعاة لمقتضى الحال والمقام، فالأنبياء عليهم السلام استخدموا الشدة في بعض الحالات التي ظهر فيها العناد والاستهزاء، ومنه ما جاء من نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[هود: ٢٩]، وقول إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء: ٦٧]، وفي أقوالهم هذه تعنيف لأقوامهم لما وجدوا فيهم العناد والاستخفاف والاستهزاء بالدعوة.

وهذه الخطوة يلجأ إليها المنكر والداعي بعد تأكده من عدم جدوى أسلوب اللطف واللين، فحينئذ يغلظ لهم القول، ويزجرهم، مع مراعاة قواعد الشرع في ذلك؛ فعليه ألا ينطق إلا بالصدق، ولا يطيل لسانه بما لا يحتاج إليه بل على قدر الحاجة(٦٩).

وهذا هو أمر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ عندما اشتد عناد الكفار والمشركين وكثرت مؤامرات المنافقين، فقال الله تعالى له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]. قال ابن عباس رضي الله عنه: فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم(٧٠).

ولكن إذا تأكد للداعية حدوث منكر أعظم مما يزجر عنه أو ترك معروف أهم مما يقصده لدعوته بالشدة فليس له أن يلجأ

---

(٦٧) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٤).

(٦٨) لسان العرب: (٣١٨/٤)، مادة (زَجَر).

(٦٩) ينظر: قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (ص: ٣٧).

(٧٠) ينظر: جامع البيان، للطبري: (٥٦٦/١١).

إليها. وقد منع النبي ﷺ عمر رضي الله عنه من قتل رأس النفاق عبد الله بن أبيّ، رغم استحقاقه لذلك، لئلا يترتب على ذلك مفسدة أعظم(٧١).

وفي ذلك يقول ابن تيمية، رحمه الله (ت٧٢٨هـ): "فإن الأمر والنهي إن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة"(٧٢).

وقد أوجز ابن الوزير اليماني رحمه الله (ت٨٤٠هـ) الكلام في الزجر فقال: "واعلم أن للزجر والتخويف بالألفاظ الغليظة شروطاً أربعة: شرطين في الإباحة، وهما: ألا يكون المزجور مُحِقًّاً في قوله أو فعله، وأن لا يكون الزاجرُ كاذباً في قولهِ.. وشرطين في النَّدب، وهما: أن يظنَّ المتكلمُ أنَّ الشدَّة أقربُ إلى قبولِ الخَصْمِ للحقِّ، أو إلى وضوحِ الدليلِ عليه، وأن يفعلَ ذلك بنيَّةٍ صحيحةٍ، ولا يفْعَلُهُ لمجردِ داعيةِ الطبيعة"(٧٣). وهذا الكلام من أفضل القواعد في هذا الأسلوب.

المطلب الثاني: خصائص الأساليب الجدلية في القصص القرآني:

الجدل والمجادلة: مقابلة الحجة بالحجة، وكشف الشبه بالأدلة المقنعة والبراهين الواضحة.

فالمجادلة والجدل في الأصل هو الاحتجاج لتصويب رأي ورد ما يخالفه، فهو حوار وتبادل في الأدلة ومناقشتها؛ لأن من الناس من لا تقنعه الموعظة ولا التوجيه والإرشاد، فيحتاج إلى مجادلة ومناظرة لإقناعه وتوجيهه، فقد تكون عند البَعض شبهة، أو يقع في تأويل ما، فهذا الجنس من الناس يحتاج إلى مجادلة ومناظرة، بما يراه المجادل والمناظر مناسبا من حاله، مع الأخذ بالاعتبار طبيعة الزمان والمكان، وأيضا عقيدة المناظر ومذهبه، فإن هذا من الحكمة(٧٤). وفي هذا المطلب سوف أذكر خصائص الأساليب الجدلية، وهي كالآتي:

١- الجدال أمر فطري يصدر من الناس كافة، فالإنسان مطبوع على الجدل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ

(٧١) ينظر: صحيح البخاري، باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[المنافقون: ٦]، (١٥٣/٦)، رقم: (٤٩٠٥).

(٧٢) كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (ص: ٢١).

(٧٣) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (٢٣٤/١).

(٧٤) البصيرة في الدعوة إلى الله: (ص: ١٢٣)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾[الكهف: ٥٤]، و"الإنسان هنا يراد به الجنس وقد استعمل ﷺ الآية على العموم في مروره بعلي ليلا وأمره له بالصلاة بالليل، فقال علي: إنما أنفسنا يا رسول الله بيد الله، أو كما قال، فخرج ﷺ وهو يضرب فخذه بيده ويقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلا"(٧٥).

وقال أبو أسحاق الزجاج رحمه الله (ت٣١١هـ): "كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلا"(٧٦). وهذا الجدل مفطور عليه الإنسان، وهو فيه بحسب جبلته(٧٧).

وهذا معناه أن الداعية إلى الله يحتاج إلى معرفة الأساليب الجدلية لأنه قد يستعملها في دعوة الناس، بل إن ذلك متوقع مع أكثر الناس.

٢- الجدل المشروع هو الذي بمعنى المناظرة التي يقصد منها إظهار الصواب(٧٨)، وليس جدلاً عقيما من أجل الجدل، فيكون فيه الزام للخصم بالحجة والمناظرة والمغالبة (٧٩)، وقد نص بعض العلماء على أن الجدل بالتي هي أحسن معني به المناظرة(٨٠)، ولعل ذلك يفسر استخدام البعض للفظة الجدل مرادفة للمناظرة أو بمعنى المناظرة(٨١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجدل هو أحد أشكال الحوار أيضا، فهو يعني تردد الكلام ومراجعته بين طرفين أو أكثر دون أن يكون ذلك بالضرورة لخلاف بينهم.

---

(٧٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (٣٨٧/٢)، والحديث في صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب: (٣٧٩/١)، رقم: (١١٢٧)، صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح: (٥٣٧/١)، رقم: (٧٧٥)، واللفظ لمسلم.

(٧٦) زاد المسير: (١٥٧/٥).

(٧٧) ينظر: روح المعاني: (٣٠٠/١٥).

(٧٨) ينظر: أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام: (ص: ٧).

(٧٩) ينظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، زاهر الألمعي: (ص: ٢٤).

(٨٠) ينظر: التقريب لحد المنطق، ابن حزم: (ص: ١٨٦)، وضوابط المعرفة، الميداني: (ص: ٣٧١)، وقد استعمل جمع من المفسرين كلمة مناظرة مقابل الجدل، وعبارة ناظرهم مقابل جادلهم عند تفسير قوله تعالى: (وجادلهم بالتي هي أحسن)، ينظر: أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام: (ص: ٥٥).

(٨١) ينظر: المعونة في الجدل، أبو إسحاق الشيرازي: (ص: ٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

فإذا كان هناك خلاف وقصد إظهار الحق فهي المناظرة والجدل الشرعي، وإذا كان خلاف وكان القصد المغالبة والإلزام والإفحام فقط فهو الجدل المحض. وهذا يذم اعتماده في الدعوة إلى الله، كما يفيده قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف: ٥٧، ٥٨]، فـ"عابهم بكونهم من أهل الجدل، وذلك يدل على أن الجدل مذموم"(٨٢) أي: هذا النوع.

٣ – أن الله تعالى لم يأمر باستعمال أسلوب الجدل مطلقاً بل أمر به مقيداً، فقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، أي: وجادل المعاند منهم بالطريقة التي هي أحسن الطرق وأجملها، بأن تكون مجادلتك لهم مبنية على حسن الإقناع، وعلى الرفق واللين وسعة الصدر فإن ذلك أبلغ في إطفاء نار غضبهم، وفى التقليل من عنادهم، وفى إصلاح شأن أنفسهم، وفى إيمانهم بأنك إنما تريد من وراء مجادلتهم، الوصول إلى الحق دون أي شيء سواه(٨٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٦].

٣- الجدل أسلوب دعوي يراعي طبائع النفس البشرية؛ فالإنسان من طبعه أن يعتز برأيه وبفكرته وإن كانت خاطئة، والمعاندون أكثر الناس تشددًا في هذا المجال، والجدل الناجح وذي الرسالة يراعي هذه الناحية في مناقشاته، فنرى في طرق الجدل في القرآن ما عُرف بطريقة مجاراة الخصم، ومجمل هذه الطريقة أن يسلم المجادل ببعض مقدمات الخصم؛ للإشارة إلى أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجه، وإنما هي بعيدة عنه، ولكن التسليم بذلك يحاصر الخصم بحيث لا يستطيع التهرب ولا الاعتذار بأسباب كالشدة ونحوها. ومن أمثلة هذه الطريقة قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[إبراهيم: ١٠، ١١]، فدعوى الخصم أن الرسل بشر، لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء والأسلاف. وبملاحظة رد الرسل عليهم نرى التسليم للخصوم أنهم بشر، ولكنهم يبينون أن البشرية لا تنافى أن

(٨٢) التفسير الوسيط: (٢٦٢/٨)

(٨٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): (٣٢٠/٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

يمن الله بالرسالة على من يشاء من البشر.

ومن أمثلة مجاراة الخصوم وعدم الرد المباشر على دعاويهم، وعدم التسليم بها، قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[الزخرف: ٨١]، "أمر الله رسوله أن ينتقل من مقام التحذير والتهديد إلى مقام الاحتجاج على انتفاء أن يكون لله ولد، جمعا بين الرد على بعض المشركين الذين عبدوا الملائكة، والذين زعموا أن بعض أصنامهم بنات الله مثل اللات والعزى، فأمره بقوله: قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي قل لهم جدلا وإفحاماً"(٨٤)، "فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهم أول الناس سبقا إليه وتكميلا له، وكل شر فهم أول الناس تركا له وإنكارا له وبعدا منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون. ويحتمل أن معنى الآية: لو كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين لله، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقا، لكنت أول مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلاً ونقلاً"(٨٥)..

٤- الجدل كأسلوب دعوي يلاحِظ التنوع البشري، فلا يكون الجدل في مرتبة واحدة ولا مستوى واحد: فالناس يختلفون في مجادلاتهم؛ فمنهم العنيد، ومنهم السهل، ولقد راعى الجدل القرآني هذا، فمع العناد يلجأ إلى إفحام الخصم وإلزامه، ثم يأخذ بيده إلى الحقيقة، ويبينها له بوضوح، فمثلا: لما كان المعاندون يطلبون في إصرار أن يكون الرسول مَلَكًا، رد الله إصرارهم بوضوح وإيجاز، وعرفهم لو أنه لو أرسل مَلَكًا على صورته الملكية لهلك الناس من رؤيته، ولو جعله بشرًا يعايشهم ويدعوهم في بشريته هذه، لبقي اللبس وطلبوا مَلَكًا آخر، وهكذا في تسلسل لا ينتهي، وهو محال نشأ من طلبهم المحال، فعليهم بعدُ أن يُسلموا بالرسول البشر.

ومن أمثلة هذه الخصيصة للجدل الدعوي، في محل النقاش السهل المبسط، يقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[الأنعام: ٩١] ففي الآية بيان لإنكار اليهود إنزال الوحي على بشر هو محمد ﷺ،

(٨٤) التحرير والتنوير: (٢٦٣/٢٥).
(٨٥) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٧٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

بينما هم يؤمنون برسالة موسى عليه السلام، وقد رد الله عليهم وأفحمهم بأخصر طريق بسؤالهم عن المسلَّمات عندهم، من نوع ما ينكرون، فسألهم عن الكتاب الذي جاء به موسى، من أنزله عليه؟، فهو دليل عليهم.

٥ – الجدل لابد أن يكون مبنياً على علم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٦٥ – ٦٦].

٦ – الجدل أسلوب دعوي نبوي، هدفه إقامة الحجة على الخصم وإفحامه بحيث لا تبقى له حجة يتمسك بها، أو شبهة يستند عليها، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٨]، وقال تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[هود: ٣٢].

المطلب الثالث: هدف الأساليب الدعوية والجدلية ومسالكها:

الهدف من استعمال الأساليب الدعوية هو الوصول إلى الحق، وبيان طريق الهداية، وتخضع الأساليب الدعوية للثابت والمتغير، بحيث لا تتعارض مع الشريعة ونصوص الوحي.

ومسالك تلك الأساليب تعود إلى أربعة مسالك، قال ابن الوزير اليماني رحمه الله (ت٨٤٠هـ): "ولا يليق التعدي إلى وراء ذلك"(٨٦)، وهي المسالك الآتية:

الأوَّل: الدعاءُ إلى الحق بالحِكمة البُرهانية، والأدلة القطعية، وهي أجلُّ المراتب، وأرفعُها، وأقطعُها للتشغيب، وأنفعُها، وعليها المدارُ في القطعي من علم المعقول، وعلم المنقول.

الثاني: الجدَلية: وهي أقيِسَة مؤلَّفةٍ مِن مقدمات مشهورة غير يقينية. وهي قضايا يُحْكَم بها لاعتراف الناس لمصلحة عامة، والغرض منه إقنَاع القاصر عن درْكِ البُرهان، وإلزام الخَصم.

الثالث: الخطابية: وهي قياساتٌ مؤَلَّفَةٌ مِنْ مقدماتٍ مظنونة، وهي قضايا تُؤْخذ ممن يُعْتَقَد فيه مزيد عقل أو دين، بغرض ترغيب السامع في نفعه بتهذيب الأخلاق، وأمر الدين.

(٨٦) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (٢٢٨/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

الرابع: الوعظية، وهي نوعان: التأليف والترغيب، والتخويف والترهيب، ولكلٍّ منهما مكانٌ يليق به، وحال يَصْلُح له، وَمن ثم اختلَف السمعُ فيه؛ ففي موضعٍ يقول: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: ٤٤]، وقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ١٢٣]، وقال:﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[النساء: ٦٣]"(٨٧).

فهذه الأنواع الجامعة من مسالك الأساليب الدعوية، وقد ورد في قصص الأنبياء بيان قيامهم بها على أكمل وجه، ويظهر ذلك في خطابهم للمدعوين بما يناسب كل موقف وحال.

وأعلى أساليب الدعوة في الإقناع والتأثير هما الحكمة والموعظة الحسنة، كما أشار ابن الوزير اليماني رحمه الله (ت٨٤٠هـ)، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[النحل: ١٢٥]، وأسلوب الجدال وإن طلب في الآية فإنما هو مطلوب في أحوال محددة قد يحتاجها الداعي والدعوة، وتقدير ذلك مختلف وغير ثابت.

يقول الفخر الرازي رحمه الله (ت٦٠٦هـ): "ومن لطائف هذه الآية أنه قال: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)، فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين؛ لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة، أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام، فلهذا السبب لم يقل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيها على أنه لا يحصِّل الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر"(٨٨).

ولا يوافق الباحث الفخرَ الرزي رحمه الله في رأيه هذا إلا إذا كان يقصد أنه إذا كانت الحكمة والموعظة الحسنة كافية، فحينئذ فلا يُحتَاج إلى الجدال لما فييه من المدافعة والمغالبة، وهذا ما يؤكده ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): "وأما الجدل فلا يدعى به بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن، ولهذا قال: (وجادلهم)، فجعله فعلاً مأموراً به مع قوله (ادعهم)، فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن، وقال في الجدال: (بالتي هي أحسن)، ولم يقل: بالحسنة، كما قال في الموعظة، لأن الجدال فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى

(٨٧) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (٢٢٨/١) باختصار.
(٨٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): (١١٢/٢٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة، والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل، فما دام الرجل قابلاً للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لهما جميعاً لم يحتج إلى مجادلة"(٨٩).

والحق يقال إن المدعوين أنواع فمنهم من تكفيه الموعظة والحكمة ومنهم من لا يرجع عن غيه إلا بالبراهين العقلية والجدلية ومن هنا تأتي أهمية الجدل مع المعاندين من المدعوين.

ولكن حتى مع الحاجة إلى أسلوب الجدل في الدعوة فإنه ليس مصرحا فيه استعمال مطلق الشدة والغلظة، بل لا بد من الرفق، يقول ابن كثير رحمه الله (ت٧٧٤هـ): "وقوله: (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٦]، فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون"(٩٠).

ويقول عبد الرحمن السعدي رحمه الله (ت١٣٧٦هـ): "فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق أو كان داعيةً إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وألَّا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة، ونحوها"(٩١).

وقال أيضا: "ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب إذا كانت عن غير بصيرة من المجادل أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن؛ بحسن خلق ولطف ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك، وألَّا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق"(٩٢).

فيتبين بهذا أن الجدل الشرعي لا يكون منه مطلق الجدل أو الجدل المحض السائد بحسب الاصطلاح، فذلك مذموم "إذا لم

---

(٨٩) الرد على المنطقيين: (ص: ٤٦٨).
(٩٠) تفسير القرآن العظيم: (٢/٥٩٢).
(٩١) تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٥٢).
(٩٢) المرجع السابق: (ص: ٦٣٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

يكن الكلام بحجة صحيحة، ولم يكن إلا جدلا محضاً"(٩٣).

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية والجدلية في قصة إبراهيم عليه السلام:

المطلب الأول: الأساليب الدعوية العاطفية في قصة إبراهيم عليه السلام:

الآيات التي تحدثت عن المواقف الدعوية لإبراهيم عليه السلام كثيرة، وهي مواقف مختلفة؛ مع أبيه، ومع قومه، ومع النمروذ، وفيها بيان لعديد الأساليب الدعوية المتنوعة، وهو قدوة في جميع الجوانب التي أُمِرَ بها، حيث يقول الله عنه: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[النجم: ٣٧]. الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ): "يقول: وإبراهيم الذي وفى من أرسل إليه ما أرسل به. ثم اختلف أهل التأويل في معنى الذي وفى، فقال بعضهم: وفاؤه بما عهد إليه ربه من تبليغ رسالاته. وقال آخرون: بل وفَّى بما رأى في المنام من ذبح ابنه. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنه وفى ربه جميع شرائع الإسلام.. وقيل غير ذلك". ثم يقول: "وأوْلى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وفّى جميع شرائع الإسلام وجميع ما أُمر به من الطاعة؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر عنه أنه وفى فعمّ بالخبر عن توفيته جميع الطاعة، ولم يخصص بعضا دون بعض"(٩٤).

وفي هذا المطلب سأستعرض جانباً من الأساليب التي تغلب فيها العاطفة والرفق والإشفاق على المدعوين في منهج سيدنا إبراهيم عليه السلام في الدعوة، يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾[مريم: ٤١ - ٤٨].

وبالنظر في الآيات نلحظ أن الخطاب مفعم بالعاطفة دون غلظة أو شدة، وهذا الأسلوب ظاهر في دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، الذي كان يعبد الأصنام، فقد امتاز أسلوبه في دعوة أبيه باللين، والشفقة، والعاطفة، والموعظة الحسنة(٩٥).

---

(٩٣) منهاج السنة النبوية: (٥٨/٣).

(٩٤) جامع البيان: (٥٤٣/٢٢- ٥٤٥) مختصراً.

(٩٥) ينظر: زهرة التفاسير: (٤٦٤٦/٩) وما بعدها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وإذا أردنا أن نستخلص الجوانب العاطفية في هذا الخطاب من إبراهيم عليه السلام، فيمكن أن يظهر ذلك من خلال النقاط الآتية:

١. لقد بدأ إبراهيم دعوته بـ(يا أبتِ)، وكررها في كل جملة، تذكيراً للوالد بصلة القرابة ومنبع الشفقة، وما يكون بين الوالد والولد عادة من محبة، وحرص على المصلحة، وتضحية من أجله.

يقول الزمخشري رحمه الله (ت٥٣٨هـ): "انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم، والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، كيف رتَّب الكلام معه في أحسن اتِّساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة، واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن"(٩٦).

والمخاطبة بجملة: (يا أبت) المتكررة في الآيات فيها إثارة لعاطفة الأبوة، وإظهار الامتنان من الابن لأبيه، بنداء العاطفة المقربة، وذلك شأن الداعي الكامل يبتدئ بما يقرب ولا ينفر(٩٧).

٢. سلوك طريق التأدب مع الأب والتواضع معه، خوفا من المكابرة والعناد التي قد يقع فيها الأب عند مواجهة ابنه له بالنصح والوعظ.

٣. عدم إظهار الاستخفاف بالآلهة التي يعبدها أبوه، مع التعريض بذلك، ولكن بطريقة فيها حذر، وفي هذا أيضا حرص على عدم خدش كرامة أبيه بأي صورة من الصور.

٤. التنبيه التحفيزي، بأسلوب حذر، وهو تنبيهه لما يمتلكه — الأب – من العقل والفهم، وأنه بإمكانه إعمال عقله في مثل هذه الأمور، فالعاقل يجب أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح، وهذا فيه تحفيز مبطن لمن لا يعمل عقله في النظر، فهو نبهه من غير أن يظهر تسفيهه له.

وقد وجه إبراهيم عليه السلام إلى أبيه سؤالاً يحمل معنى الاستنكار(٩٨)، يسأله ذلك وكأنه يستنهض تفكيره ويوقظ فطرته، فالإله الذي يعبد، ويتوجه إليه العباد في السراء والضراء، وخلق الناس والأحياء.. وهذا الإله في الفطرة السليمة لا يمكن أن يكون صنماً أو وثناً مصنوعا.

---

(٩٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (١٩/٣).
(٩٧) ينظر: زهرة التفاسير: (٤٦٤٦/٩، ٤٦٤٨).
(٩٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١٧/٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٥. التلطف في عرض المعطيات والمستجدات التي يجهلها الأب، وهي أن لدى إبراهيم علما ومعرفة ونبوة وحكمة، ليست عند أبيه – وإن كان عالما –، ولكن إبراهيم عرض هذا بحذر بالغ حتى لا يشعر الوالد بالغضاضة من اتباع ابنه، وهو الوالد الأكبر سناً، والأكثر خبرة وتجربة في الحياة، فلم يسند إبراهيم العلم إلى نفسه، ويقل: إني أعلم ما لا تعلم، بل أخبر أنه قد جاءه من العلم ما لم يأت والده، وفي ذلك عدم جرح لكبرياء الأب، فهول لم يَصِمْ أباه بالجهل –وإن كان في أقصاه–، ولا وصف نفسه بالعلم الفائق– وإن كان كذلك–، بل نبهه إلى وجود مستجدات في العلم قد تصل للبعض دون البعض وليس في ذلك غضاضة، فاستماله برفق[٩٩]، وعبارته تفيد أن عندي وعندك علماً، ولكن قد جاءني (مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ) على سبيل التبعيض، أي: شيء من العلم ليس معك[١٠٠]، وهو العلم بما يجب لله تعالى وما يمتنع في حقه وما يجوز على أتم وجه وأكمله، وقيل العلم بأمور الآخرة وثوابها وعقابها، وقيل العلم بما يعم ذلك[١٠١]. وبه دعاه إلى الطريق السوي، وهو الطريق المستقيم الموصل إلى نيل المطلوب، والنجاة من المرهوب، وذلك بعبادة الله وحده لا شريك له وطاعته في جميع الأحوال[١٠٢].

٦. استعمال أسلوب التخويف بحكمة ولطف، فهو وصل في دعوته لأبيه إلى مستوى التخويف، ولكنه كان بحكمة ومحبة، فلم يصرح بلحوق العذاب بأبيه، إنما أظهر الشفقة، والخوف عليه من عذاب الرحمن، فأتى بلفظ المس وهو ألطف من المعاقبة، ونكر العذاب ورتب على مسه ما هو أكبر منه[١٠٣]، فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[مريم: ٤٤، ٤٥]، قال الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ): "أخاف بمعنى: أعلم أنك إذا مت على عبادة الشطان أن يمسك عذاب من عذاب الله"[١٠٤].

وقال عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله (ت٨٧٢هـ): "والظاهر عندي أنه خوف على بابه، وذلك أن إبراهيم عليه السلام في وقت هذه المقالة لم يكن آيساً من إيمان أبيه"[١٠٥].

---

(٩٩) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٨/٤)، إرشاد العقل السليم: (٥٨٥/٣)، روح المعاني: (٩٧/١٦).
(١٠٠) ينظر: البحر المحيط في التفسير: (١٩٤/٦).
(١٠١) ينظر: روح المعاني: (٩٧/١٦).
(١٠٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٢٤/٣)، تيسير الكريم الرحمن: (ص: ١١١).
(١٠٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير: (١٩٤/٦).
(١٠٤) جامع البيان: (٦٨/٨).
(١٠٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (١١/٣).

وفي "إظهار لفظ (الرحمن) حال التخويف أمران:

الأول: إشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب، كما في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

والثاني: أن الرحمن يظهر أنه أيضا يرحم من عاد وتاب من عباده(١٠٦)، قال أبو السعود العمادي رحمه الله (ت٩٨٢هـ): "وذكر الخوف للمجاملة وإبراز الاعتناء بأمره"(١٠٧).

٧. التدرج في الإقناع والتنويع في العرض، برفق ولطف، من الترغيب إلى الترهيب إلى التحفيز إلى التحذير والتخويف، فهو عرض ما عنده من علم من غير أن يَسِمَ أباه بالجهل، وعرض عليه طريق النجاة من غير تسفيه لمسلكه، وثبَّطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل؛ ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم، ونهاه عن اتباع الشيطان مبينا لموجب النهي: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾[مريم: ٤٤، ٤٥]، ولم يسهب في التعليل، حتى لا يخرج عن الهدف المراد، فاقتصر على ذكر ملاك الأمر وهو العصيان، وزاد في تقرير ذلك بإظهار الشيطان مرة أخرى، مع أن حقه الإضمار. وفي كل هذا يظهر إبراهيم عليه السلام العاطفة والشقة والمحبة لأبيه، فهو حريص على هدايته أشد الحرص(١٠٨).

٨. الاستمرار بإظهار العاطفة حتى مع بروز الجفاء من أبيه، فإنه لما قال له مجافياً ومتوعداً له: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾[مريم: ٤٦ – ٤٨]، لم يرد عليه الجفاء بالجفاء والغلظة بالغلظة، إنما رد عليه بالسلام والوعد بالاستغفار والدعوة بالهداية، فلم يزل يستغفر إبراهيم لأبيه رجاء أن يهديه الله، فلمَّا تبين له أنَّه عدو لله، وأنه لا يفيد فيه شيئًا، ترك الاستغفار له، وتبرأ منه(١٠٩).

فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك، رجع عن ذلك، وتبرأ

---

(١٠٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير: (١٩٤/٦).

(١٠٧) إرشاد العقل السليم: (٢٦٧/٥).

(١٠٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٢٦٧/٥) وتيسر الكريم الرحمن: (ص: ١١٢).

(١٠٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٤٩٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

منه(١١٠)، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[التوبة: ١١٤].

المطلب الثاني: أساليب المواجهة المباشرة:

وقد ظهرت مواجهة إبراهيم عليه السلام قومه بأساليب مباشرة في عدة مواقف دعوية قام بها، وكثير منها متداخل مع الأساليب الأخرى؛ فهو في كثير من مواقفه كان يواجه قومه ببيان موقفه من عقيدتهم، وأنهم في ضلال مبين، بل نلحظ أنه حتى مع أبيه يشتد عليه بالبيان الصريح أحياناً، وإن جعله ضمن أساليب رفيقة لينة خاصة به.

١ – أسلوب النهي: ومن هذا قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾[مريم: ٤٤، ٤٥].

فنهيه عليه السلام أباه عن عبادة الشيطان، فهو بهذا يقرر لأبيه أنه على خطأ كبير، ونهيه عن عبادة الشيطان فيه شدة من جهة مواجهته بذلك الأمر الذي لا يقر به المشركون أنفسهم، قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله (ت ٥٤٢هـ): "يحتمل أن يكون أبوه ممن يعبد الجن، ويحتمل أن يجعل طاعة الشيطان المعنوي في عبادة الأوثان والكفر بالله تعالى"(١١١). فعبادته الأصنام إنما هي عبادة للشيطان، لأنه هو الداعي إليها والراضي بها، ونسبة الفساد إلى الشيطان متقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفطنون لحالهم، ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه(١١٢).

وقد سبقت الإشارة إلى ما في الجملة من تعليل لموجب النهي وتأكيد وزيادة تقرير(١١٣)، ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاصٍ، وكل عاصٍ حقيق بأن تسترد منه النعم، وينتقم منه(١١٤).

٢ – أسلوب الوعيد: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ

(١١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥١/٢).
(١١١) المحرر الوجيز: (١٨/٤).
(١١٢) ينظر: زاد المسير: (٢٣٦/٥)، والتحرير والتنوير: (١١٦/١٦، ١١٧).
(١١٣) ينظر: روح المعاني: (٩٧/١٦).
(١١٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٨/٤).

لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[الممتحنة: ٤].

قال الزمخشري رحمه الله (ت٥٣٨هـ): "أي: كان فيهم مذهب حسن مرضي بأن يؤتسى به ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا، حيث كاشفوهم بالعداوة، وقشروا لهم العصا، وأظهروا البغضاء والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلا كفرهم بالله، وما دام هذا السبب قائماً كانت العداوة قائمة، فأفصحوا عن محض الإخلاص. ومعنى (كَفَرْنا بِكُمْ وبما تعبدون من دون الله): أنا لا نعتدّ بشأنكم ولا بشأن آلهتكم، وما أنتم عندنا على شيء"(١١٥).

فالتبرؤ مواجهة قوية وشجاعة وشدة، والمعنى: "قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة في إبراهيم عليه السلام وفي الذين آمنوا معه، وقت أن قالوا لقومهم الكافرين، بشجاعة وقوة: (إنا برآء منكم)، ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله عز وجل وإننا قد كفرنا بكم وبمعبوداتكم، (وَبَدا) أي: وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء على سبيل التأييد والاستمرار، ولن نتخلى عن ذلك معكم، حتى تؤمنوا بالله تعالى وحده، وتتركوا عبادتكم لغيره تعالى. فأنت ترى أن إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه قد أعلنوا بكل شجاعة وشدة، إيمانهم الكامل بالحق، وبراءتهم وكراهيتهم واحتقارهم، لكل من أشرك مع الله في العبادة آلهة أخرى. ولم يكتفوا بالتغيير القلبي للمنكر، بل جاهروا بعداوتهم له، وبالتنزه عن اقترابهم منه. وبتجافيهم عنه... ولعل هذا هو أقصى ما يملكونه بالنسبة لتغيير هذا المنكر في ذلك الوقت.وقد أخبرنا القرآن أن إبراهيم عليه السلام لم يكتف بذلك، بل حطم الأصنام التي كان يعبدها قومه وقال: ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٧]"(١١٦).

فقوله: (أُفٍّ) (أصل (الأف) كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر، وما يجري مجراهما، ويقال لكل مستخف استقذارا له)(١١٧)، فمعنى: (أُفٍّ لكُمْ) استقذار لكم ولما تعبدون، والاستقذار هنا معنوي، لقول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا ﴾[التوبة: ٢٨]، وكذا الأمر في أحجارهم فهي مستقذرة يتأفف منها كما تأفف من عابديها، وختم سبحانه وتعالى الآية بقوله تعالى: (أَفَلا تَعْقِلُونَ) الاستفهام هنا لإنكار الوقوع أي بمعنى النفي مع التوبيخ وتحريض على التفكير والتعقل، وألا يطرحوا عقولهم وراء ظهورهم"(١١٨).

---

(١١٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (٥١٤/٤).

(١١٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: (٣٢٩/١٤).

(١١٧) المفردات في غريب القرآن: (ص١٩).

(١١٨) زهرة التفاسير (٤٨٩٠/٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٣ – الخطاب والمواجهة المباشرة: ومنه قول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: ٩٥، ٩٦]، وهنا خاطب إبراهيم عليه السلام أباه وقومه بطريقة واضحة لا لبس فيها، على أنَّ عبادتهم متهافتة، ومعبوداتهم ضعيفة لا تستحق العبادة، دون مجاملة ولا تزييف ولا مداهنة، فقال لهم: ما هذه التماثيل التي مثلتموها، ونَحَتُّموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات ثم أنتم مقيمون على عبادتها؟ وأي فضيلةٍ ثبتت لها؟ وأين عقولكم، التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ فهذا من أكبر العجائب أنكم تعبدون ما تنحتون(١١٩).

وقوله تعالى في مواجهته قومه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾[الأنبياء: ٥١- ٥٧].

فهذا من أقوى المواقف التي ليس فيها مجاملة مطلقاً، بل تعدت المواجهة بالقول إلى التحدي والمواجهة بالفعل، وعندما واجههم إبراهيم عليه السلام بهذا الحكم البيّن الصريح حصل تزعزع عن عقيدتهم فأبانوا أنهم ورثوها ولم يبتدعوها، فبين لهم ضلال العملية من أساسها، ثم أكد لهم ذلك بتحطيم تلك الآلهة المزعومة، ولما كانت هذه المواجهة غير مألوفة لهم من إبراهيم ردوا عليه قائلين: (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ)، رد عليهم إبراهيم عليه السلام ردا حاسماً يدل على قوة يقينه، فقال: (بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ..) أي: قال لهم إبراهيم بلغة الواثق بأنه على الحق: أنا لست هازلا فيما أقوله لكم، وإنما أنا جاد كل الجد في إخباركم أن الله تعالى وحده هو ربكم ورب آبائكم، ورب السموات والأرض، فهو الذي خلقهن وأنشأهن بما فيهن من مخلوقات بقدرته التي لا يعجزها شيء(١٢٠).

قال له إبراهيم عليه السلام إنكم (في ضلال مبين) أي: تائهين، لا يهتدون أين يسلكون، بل في حيرة وجهل، وأمركم في الجهالة والضلال بين واضح لكل ذي عقل سليم(١٢١). كلمة يقولها إبراهيم عليه السلام، وهو الأواه الحليم الرضي الخلق السمح

(١١٩) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٥٢٥).
(١٢٠) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: (٢٢٢/٩).
(١٢١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥١/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

اللين، كما ترد أوصافه في القرآن الكريم. ولكنها العقيدة فهي فوق روابط الأبوة والبنوة، وفوق الحلم والسماحة(١٢٢).

وهذه المواجهة الشديدة من إبراهيم عليه السلام في هذا المقام: بأن الداعي يسلك أساليب العطف والرحمة والحكمة واللين وينتقل من رتبة إلى رتبة، ويصبر على ذلك ويقابل المساءة بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي(١٢٣)، ولكن ذلك لا يكون على حساب الدين والحق ولا لمجاملة الباطل، كما ذكر الله عن إبراهيم أنه تبرأ من الشرك والمشركين، بل من أبيه المشرك أيضا، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[الممتحنة: ٤]، "أي: لكم في إبراهيم عليه السلام وقومه أسوة حسنة، تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه"(١٢٤)، وكما هو في الآيات السابقة أيضا.

المطلب الثالث: الأساليب العقلية الجدلية في قصة إبراهيم عليه السلام:

كل ما في القرآن والسنة من دعوة إلى معتقد أو تشريع أو خلق، يقوم على الإقناع العقلي، ومحاولة التأثير الإيجابي، وليس الإكراه، وقصة إبراهيم عليه السلام تضمنت أساليبَ عقليةً عدة، منها:

أولاً: الجمع بين دليل العقلي والنقلي.

ثانياً: المناظرة والجدل.

وفي كل ذلك يهدف إلى إقامة الدليل والحجة، وإلى إبطال استدلالاتهم الباطلة، وقد برزت هذه الأساليب مع الأساليب السابقة في دعوة أبيه وقومه على السواء.

١ – الجمع بين دليل العقلي والنقلي، حتى يتحقق الإقناع، وتبلغ الحجة وسنضرب لهذا الأسلوب مثالاً واحداً، وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ

(١٢٢) ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (١٠٣/٦).

(١٢٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: (١١٣/٥)، وزهرة التفاسير: (٤٦٤٦/٩).

(١٢٤) تفسير القرآن العظيم: (٣٤٩/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١ – ٥٦].

ففي هذه الآية "ذكر محاجته – أي إبراهيم – قومه، ونهيهم عن الشرك، وتكسير الأصنام، وإلزامهم بالحجة، فقال: (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ) التي مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات (الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك، فما هي؟ وأي فضيلة ثبتت لها؟ وأين عقولكم، التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تنحتون. فأجابوا بغير حجة، جواب العاجز، الذي ليس بيده أدنى شبهة فقالوا: (وَجَدْنَا آبَاءَنَا) كذلك يفعلون، فسلكنا سبيلهم، وتبعناهم على عبادتها، ومن المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ليس بحجة، ولا تجوز به القدوة، خصوصا، في أصل الدين، وتوحيد رب العالمين، ولهذا قال لهم إبراهيم مضللا للجميع: (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) أي: ضلال بين واضح، وأي ضلال أبلغ من ضلالهم في الشرك، وترك التوحيد! أي: فليس ما قلتم، يصلح للتمسك به، وقد اشتركتم وإياهم في الضلال الواضح، البيّن لكل أحد. (قَالُوا) على وجه الاستغراب لقوله، والاستعظام: (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ) أي: هذا القول الذي قلته، والذي جئتنا به، هل هو حق وجد؟ أم كلامك لنا، كلام لاعب مستهزئ، لا يدري ما يقول؟ وهذا الذي أرادوا، وإنما رددوا الكلام بين الأمرين، لأنهم نزلوه منزلة المتقرر المعلوم عند كل أحد، أن الكلام الذي جاء به إبراهيم، كلام سفيه لا يعقل ما يقول، فرد عليهم إبراهيم ردا بين به وجه سفههم، وقلة عقولهم فقال: (بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) فجمع لهم بين الدليل العقلي، والدليل السمعي.

أما الدليل العقلي، فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم، أن الله وحده، الخالق لجميع المخلوقات، من بني آدم، والملائكة، والجن، والبهائم، والسماوات، والأرض، المدبر لهن، بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق مفطورا مدبرا متصرفا فيه، ودخل في ذلك، جميع ما عبد من دون الله. أفيليق عند من له أدنى مسكة من عقل وتمييز، أن يعبد مخلوقا متصرفا فيه، لا يملك نفعا، ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا، ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر؟

أما الدليل السمعي: فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن ما جاءوا به معصوم لا يغلط ولا يخبر بغير الحق، ومن أنواع هذا القسم شهادة أحد من الرسل على ذلك فلهذا قال إبراهيم: (وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ) أي: أن الله وحده المعبود وأن عبادة ما سواه باطل (مِنَ الشَّاهِدِينَ) وأي شهادة بعد شهادة الله أعلى من شهادة الرسل؟ خصوصا أولي العزم منهم خصوصا

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

خليل الرحمن"[١٢٥].

٢ – المناظرة والجدل: القرآن الكريم يذكر مناظرات إبراهيم ومحاجاته في مستويات عدة:

أولاً: مناظراته مع أبيه.

ثانياً: مناظراته مع قومه بشأن عبادة الأصنام، ومناظرته لهم في عبادة النجوم والأفلاك.

ثالثاً: ومناظرته الطاغية النمروذ.

وفي كل هذه المستويات من المحاجة يورد إبراهيم عليه السلام الأدلة الصحيحة ويفنّد الأدلة الباطلة، ويناظر ويبرهن ويجادل، من غير كلل، ليقيم الحجة على من يدعوهم، فالله أعطاه الحجة ومكنه منها، بل هداه إلى مكامن الاحتجاج والهدى، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام: ٨٣]، قال القرطبي: "(تلك) إشارة إلى جميع احتجاجاته حتى خصمهم وغلبهم بالحجة"[١٢٦].

ولما جاء قومه إليه عليه السلام يجادلونه ويناظرونه فيما ذهب إليه من التوحيد، وأوردوا عليه الشبه بما يدل على أن أصنامهم التي يعبدون آلهة. فقال ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[الأنعام: ٨٠] أي كيف تجادلونني في أمر الله وقد بصرني وهداني إلى الحق، وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني وأنا على بينة من أمري، فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة[١٢٧]، وفي قوله: (وقد هدان) تأكيد للإنكار؛ فإن كونه مهدياً من جهة الله تعالى، ومؤيداً من عنده مما يوجب استحالة محاجته[١٢٨].

ولما خوفوه آلهتهم أن تمسه بسوء، أجابهم بعدم خوفه وأنها لا تضر ولا تنفع، فكيف يخافها ولكن خوفه من الله الذي إن شاء ناله في نفسه أو ماله بما شاء من جهته تعالى[١٢٩].

ومن مناظراته ومحاجاته وجداله بشأن عبادة الأصنام: ما ذكره الله بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا

(١٢٥) تيسير الكريم الرحمن: (ص: ٥٢٥).

(١٢٦) الجامع لأحكام القرآن: (٣٠/٧).

(١٢٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥٧/٢)، فتح القدير: (١٣٤/٢).

(١٢٨) ينظر: إرشاد العقل السليم: (١٥٤/٣).

(١٢٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (١٥٧/٢)، إرشاد العقل السليم: (١٥٤/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

عَٰكِفُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٢]. قال ابن عاشور رحمه الله (ت١٣٩٣هـ): "وهذا من تجاهُل العارف، استعمله تمهيدًا لتخطئتهم بعد أن يسمع جوابهم، فهم يظنُّونه سائلًا مستعلِمًا، ولذلك أجابوا سؤاله بقولهم: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾[الأنبياء: ٥٣]، فإنَّ شأن السؤال بكلمة (ما) أنَّه لطلب شرح ماهية المسؤول عنه. والإشارة إلى التماثيل لزيادة كشف معناها الدالِّ على انحطاطها عن رتبة الألوهية، والتعبير عنها بالتماثيل يسلب عنها الاستقلال"(١٣٠).

وفي سورة الأنعام بيان لهذه لمحاجة والمجادلة من وجه آخر في قول الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام: ٧٤]، فأنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه التأله لأصنام وتماثيل لا عقل لها ولا تدبير، وذكر له أن هذا الفعل فعل التائهين الذين لا يهتدون أين يسلكون؛ بل هم في حيرة وجهل وضلال بين واضح(١٣١).

وهذا يتأكد في سورة مريم، فهي تبين أن كلام إبراهيم عليه السلام يشتمل على ذكر الحجة العقلية على فساد اعتقاد وعمل عبدة الأصنام، فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئاً. "وهذا برهان جلي على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً"(١٣٢).

ومن هذا أيضاً: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت: ١٦-١٨].

ونلحظ التنوع في الحجج والاستدلال والأدلة العقلية والواقعية المقنعة لمن كان له مسكة عقل، وفي كل ذلك يتصدر الكلام الأكبر والحجج العقلية مع أبيه، قال الشهرستاني رحمه الله (ت٥٤٨هـ): "ولما كان أبوه آزر هو أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام ورعاية الإضافات فيها حق الرعاية، ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام لا من غيره، كان أكثر الحجج معه، وأقوى الإلزامات عليه"(١٣٣).

ومحاجة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه بشأن الأصنام، وبشأن عبادة النجوم والأفلاك، ما جاء في قوله سبحانه وتعالى:

---

(١٣٠) التحرير والتنوير: (٩٤/١٧).
(١٣١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: (٢/ ١٥٥)، تيسير الكريم الرحمن: (٤٢٣/٢).
(١٣٢) ينظر: محاسن التأويل: (٣٩٩/٤)، تيسير الكريم الرحمن: (١١٠/٥)،
(١٣٣) الملل والنحل، (ص٣٠٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٧٤ - ٨٢].

أنكر إبراهيم عليه السلام عبادتهم للأصنام بحسب الظاهر، وذلك في خطابه لأبيه، ثم أبطل منشأها وما نسبت إليه من الكواكب وبين عدم استحقاقها لذلك أيضا(١٣٤)، وذلك عن طريق المناظرة والاستدلال، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾[الأنعام: ٧٦].

وقول إبراهيم عليه السلام: (هذا ربي) عند أكثر المفسرين أنه قاله (على وجه الاعتبار والاستدلال لا على وجه الإخبار، ولذلك فإن الله تعالى لم يذم إبراهيم عليه السلام على ذلك بل ذكره بالمدح والتعظيم وأنه أراه ذلك كي يكون من الموقنين). قال القاضي عياض رحمه الله (ت٥٤٤هـ): "وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتا لقولهم ومستدلا عليهم"(١٣٥).

وفي كلامه استدلال بالنظر في الآيات وإقامة الأدلة على بطلان اعتقاد قومه بلفتهم إلى مشاهدة ما هو أقوى دليل؛ لأنهم يرونه ولا يستطيعون إنكاره، كما قال: (فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)، أي: فلما غاب وذهب (قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) قال قتادة: علم أن ربه دائم لا يزول(١٣٦). وقال: (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي)، أي لما رأى القمر طالعا قال: هذا ربي تنزلا، (فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) فأظهر غاية الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده فلا هادي

(١٣٤) حاشية الشهاب على البيضاوي: (٨٥/٤).
(١٣٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: (٢٦٠/٢).
(١٣٦) تفسير القرآن العظيم: (١٥٦/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

له، فقالها على معنى الإشفاق والحذر(١٣٧)، قال القرطبي رحمه الله (ت ٦٧١هـ) في قوله: (لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي) أي: "لم يثبتني على الهداية وقد كان مهتديا"(١٣٨).

وفي هذا تلميح لضلال قومه: (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)، بعد كل هذه الاستدلالات تبرأ إبراهيم عليه السلام من معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله، ثم أكد عليه السلام ذلك فقال: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

ومن محاجة إبراهيم عليه السلام، ما ذكره الله بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٨]، وفي الآية دليل على أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بدأ بالدعوة إلى التوحيد واحتج بحجة واضحة يدركها كل عاقل، وهي أن الرب الحق هو الذي يحيي ويميت، فإن كل أحد يعلم ضرورة أنه لا يستطيع إحياء ميت، فلذلك ابتدأ الحجة بدلالة عجز الناس عن إحياء الأموات.

وفي تقديم الاستدلال بخلق الحياة إدماج لإثبات البعث، لأن الذي حاج إبراهيم كان من عبدة الأصنام، وهم ينكرون البعث. وذلك موضع العبرة من سياق الآية في القرآن على مسامع أهل الشرك، ثم أعقبه بدلالة الإماتة، فإنه لا يستطيع إنهاء حياة الحي، ففي الإحياء والأمانة دلالة على أنهما من فعل فاعل غير البشر، فالله هو الذي يحيي ويميت. فالله هو الباقي دون غيره الذين لا حياة لهم أصلا كالأصنام إذ لا يعطون الحياة غيرهم وهم فاقدوها، ودون من لا يدفع الموت على نفسه مثل الذي حاج إبراهيم عليه السلام(١٣٩).

ونخلص من هذا إلى أن الخليل عليه الصلاة والسلام فنَّد بمحاجاته ورد على عدة مذاهب شركية بقوة الحجة والدلالة مذاهب أصحاب الأشخاص والتماثيل، ومذهب أصحاب النجوم والأفلاك، ومذهب أصحاب الطغيان والمصالح الذاتية.

وقد تميزت أساليب إبراهيم عليه الصلاة والسلام الدعوية والجدلية عموماً باعتمادها على:

١- الاستدلال بالدليل السمعي.

---

(١٣٧) ينظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: (٢٦٠/٢)، تيسير الكريم الرحمن: (٤٢٤/٢)

(١٣٨) الجامع لأحكام القرآن: (٢٧/٧).

(١٣٩) ينظر: التحرير والتنوير: (٣٣/٣).

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٢ – الاستلال بالدليل الفطرة.
٣– الاستدلال بالدليل العقلي.
٤– الاستدلال بالدليل الحسي.

الخاتمة:

يطيب للباحث في نهاية هذا البحث أن يسجل أهم النتائج والتوصيات، كالآتي:

أولا: أهم النتائج:

١. الأساليب الدعوية هي: الطرق المؤثرة والكيفيات المقنعة التي يسلكها الداعي لتبليغ الإسلام، والحث على العمل به.
٢. الأساليب تأخذ مشروعيتها من النصوص الشرعية، ولا تخرج مقرراتها وتوجيهاتها.
٣. ينبغي للداعي أن يختار الأساليب الدعوية الخالية من المحاذير الشرعية، وبما يناسب أصناف المدعوين.
٤. الأساليب الدعوية القولية متنوعة، ومنها: أسلوب الموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وأسلوب المناظرة، والحوار.
٥. الأساليب الدعوية العملية متنوعة، ومنها: أسلوب التغيير باليد، وأسلوب القدوة الحسنة.
٦. الجدال يكون بمقابلة الحجة بالحجة، وكشف الشبه المجادَل بالأدلة الصحيحة النقلية والعقلية والحسية.
٧. الجدل المحمود هو الذي أقره القرآن والسنة؛ لإثبات الحق ورد الباطل، والجدال المذموم :هو الجدال الذي يكون غرضه تقرير الباطل بعد ظهور الحق.
٨. الجدل أسلوب دعوي يراعي طبائع النفس البشرية من حيث اعتزازها وعنادها أحياناً، ويلاحظ التنوع البشري، فلا يكون في مرتبة واحدة ولا في مستوى واحد.
٩. مسالك الأساليب الدعوية تعود إلى أربعة مسالك، هي: الدعوة إلى الحق بالحكمة والأدلة القطعية، وهو أجلُّ المراتب وأرفعُها. والجدَل: والغرض منه إقنَاع القاصر عن درك البُرهان، وإلزام الخَصم. والخطاب: والغرض منه ترغيبُ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

السامع فيما ينفعه مِن تهذيب الأخلاق وأمر الدين. والوعظ، وغرضه: التأليف والترغيب، أو التخويف والترهيب، ولكلٍّ منهما مكانٌ يليق به، وحال يَصْلُح له(١٤٠).

١٠. من الأساليب الدعوية العاطفية في قصة إبراهيم عليه السلام: الخطاب باللين والشفقة والعاطفة والموعظة الحسنة، وسلوك طريق التأدب والتواضع مع الأب، والتلطف في عرض المعطيات والمستجدات التي يجهلها الأب، واستعمال أسلوب التخويف بحكمة ولطف، والتدرج في الأقناع والتنويع في العرض.

١١. من أساليب المواجهة المباشرة التي ظهرت في قصة إبراهيم عليه السلام: مواجهة قومه ببيان موقفه من عقيدتهم، وبيان أنهم على ضلال، ونهيه لأبيه عن عبادة الشيطان، والتبرؤ من قومه وشركهم، وتحطيم الأصنام.

١٢. من الأساليب العقلية الجدلية في قصة إبراهيم عليه السلام: الجمع بين الدليل النقلي والدليل العقلي، والمناظرات، والتنويع في عرض الحجج والاستدلال بالأدلة العقلية والواقعية المقنعة، والاستدلال بالفطرة، والاستدلال بالحس والمشاهدة.

ثانيا: أهم التوصيات:

يوصي الباحث بما يأتي:

١. دراسة الأساليب الجدلية في قصص القرآن الكريم وبيان أسسها ومرتكزاتها.
٢. دارسة الأساليب الجدلية من خلال السنة النبوية، وبيان آثارها الدعوية.
٣. دراسة منهج السلف الصالح في الجدل وتطبيقاته وأثره في الدعوة المعاصرة.

(١٤٠) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: (٢٢٨/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

الأساليب الدعوية والجدلية في القصص القرآني (قصة إبراهيم عليه السلام أنموذجا)

Advocacy and dialectical methods in the Qur'anic stories (The story of Ibrahim, peace be upon him as a model)

Dr. Muhammad Fahd Obaid Al-Harbi
Assistant Professor, Department of Islamic Da`wah
College of Da`wah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University

Abstract

This research deals with advocacy and dialectical methods in the Qur'anic stories through the supplication of Abraham, peace be upon him; Because his advocacy approach is full of those methods, and the researcher used the inductive and analytical approach, and the research aimed to: Clarify the concept of advocacy methods. Mention the characteristics of advocacy and dialectical methods in the Holy Qur'an. Highlighting the advocacy and dialectical methods through the story of the father of the prophets Ibrahim, peace be upon him. The researcher came out with a number of results, the most important of which are: The advocacy methods are the methods that the preacher uses in his call, and the effective and convincing methods by which Islam is communicated and urged to implement it, and work with its origins and branches. Controversy is contrasting the argument with the argument, and exposing the similarities of those who argue with it with convincing evidence and clear proofs. Controversy requires the preacher's knowledge of the rules of inference, as well as argument and evidence. From the dialectical mental methods in the story of Abraham, peace be upon him: mental persuasion, debates, diversification in presenting arguments and inference with convincing rational and realistic evidence, inference by instinct, and reasoning by sense and observation. A study of advocacy methods in the stories of Hood, Saleh and Shuaib, peace be upon them.

Keywords: advocacy methods - controversy - Quranic stories - Abraham, peace be upon him

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

المراجع والمصادر:

- ابن أبي جمرة، عبد الله، بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها، بيروت، ط٣، دار الجيل، د. ت.
- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، د.ت.
- ابن الوزير اليماني، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، علّق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- ابن حميد، صالح القدوة الحسنة: مقصود القدوة ومعناها، مجلة التوحيد، جماعة أنصار السنة المحمدية، العدد (٦)، ١٩٩٥م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: دويش الجويدي، ط٢ المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، نشر الدار التونسية للنشر، تونس، د. ت.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- أبو إسحاق الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، المعونة في الجدل، تحقيق: علي عبد العزيز العميريني، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، د. ت.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- الألمعي، زاهر بن عواض، ناهج الجدل في القرآن الكريم، الرياض، ط٣، ١٩٨٤م، د. ن.
- الآلوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع والمثاني، دار إحياء التراث، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- الأميري، أحمد البراء، إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- الأنصاري، فريد، أبجديات البحث في العلوم الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م.
- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خاف، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، القاهرة، محمد زهير الناصر، مع ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٠٠هـ.
- بدر، أحمد أصول البحث العلمي ومناهجه، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.
- بدير، محمد بدير، أصول الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، دار نور الإسلام، ط٢، ١٤١٩هـ.
- البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرين، دار طيبة، الرياض، ١٤١١هـ.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، د.ت.
- التومي، محمد، الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، الجزائر، شركة الشهاب، ط. ت.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- الحارثي، حمود بن جابر، دعوة النبي ﷺ للأعراب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

١٤١٧هـ.

- الحقيل، سليمان بن عبد الرحمن، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- الحميدان، إبراهيم بن صالح، أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت.
- الخياط، خالد عبد الكريم، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠١١هـ.
- الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير البصري، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، ط١، ١٤٠٠هـ.
- الراجحي، سليمان، إبراهيم عليه السلام في التوراة: دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٢٠-١٤٢١هـ.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، د. ت.
- الرحيلي، حمود بن أحمد، قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د.ط. د.ت.
- رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الزحيلي، وهبة مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١١هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ترتيب وضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- زمزمي، يحيى بن محمد، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، ط١، ١٩٩٤م.
- ساجقلي زادة، عبد الوهاب بن حسين، شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث

جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠هـ.

- سليمان، قاسم فتحي، أسلوب الأمر ومعانيه الثواني في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كليّة الآداب، ١٩٩٥م.
- الشاذلي، عبد الله يوسف، الدعوة والإنسان، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.
- الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م
- الشهراني، محمد بقنة، علم الدعوة: دراسة تأصيلية، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٣هـ.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، نشر دار الفكر، بيروت.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- الضويان، أحمد عبد الله، الحوار أصوله وآدابه السلوكية، دار الوطن، الرياض، ط١.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧- ١٩٩٨م.
- الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي الصرصري، علم الجدل، ١٩٨٧م.
- عبد المطلب، محمّد، البلاغة والأسلوبيّة، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر ١٩٨٤م.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث، بيروت.
- العمار، حمد بن ناصر، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، طبع مركز الدراسات والإعلام ودار إشبيليا، ط٢، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
- العمر، ناصر بن سليمان، الحكمة، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
- العنزي، عزيز بن فرحان، البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- العيدي، محمد عبد الله، الدعوة إلى الله في ضوء قوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)، مجلة جامعة الملك سعود – العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، (مج ٢٢)، العدد (٣)، ٢٠١٠م.
- الغرناطي، أبو حيان محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، ط١، وكذلك طبعة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص١١١٧-١١٦٧ (صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

- غلوش، أحمد أحمد، الدعوة الإسلامية أصولها وضوابطها، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢.
- فتح الله، وسيم، أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د. ط، د.ت.
- الفخر الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ثم الحموي، المكتبة العلمية، بيروت.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهب، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١هـ.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، مفهوم الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، د ت.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، نشر دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د ت.
- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٤، ١٣٨٩هـ.
- المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد المعروف، تاج العروس، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٧٥م.
- الميداني، عبد الرحمن حين حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، د. ط، ٢٠١٠م.
- نوفل، أبو المجد السيد، الدعوة إلى الله: خصائصها، مقوماتها، مناهجها، ط٢، دار الأمانة، مصر.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- اليحصبي، عياض بن موسى، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، ملتزم الطبع والنشر: عبد العزيز أحمد حنفي، القاهرة، د.ط، د.ت.